المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

ظاهرة البُـــخْـــل في الشِّعـــــــر الجاهلي (دراســـة تحليلية)

د. رقية إبراهيم الحاج بدري محـــمد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية العلوم والآداب بظهران الجنوب
جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: rhaj@kku.edu.sa

الملخص

مـجَّد العرب على مرِّ التاريخ خُلــق الكرم، وعدّوه من الخِصال الأساسيّة في حياتهم، وانعكس ذلك في شعرهم الذي تغّنوا به ، وذخرت دواوينهم بمدح الجواد الكريم ، على أنّ شيوع الكرم فيهم وتقديرهم للكرماء لا ينفي أنَّ بعضهم كان على بُخْل ، يضنُّ بماله عن السؤال ، ويتهرّب مِن النَّوال ، وقد هُجي بالُبخل بعض رجالهم ، وذُمَّ البخيل الشَّحيح، فصفة البُخْل من الصفات الّتي تُكسب صاحبها العار واللوم عندهم.

تناول الشَّعراء ظاهرة البُخل في العصر الجاهلي بكثرة فعابوه وذمُّـوه ، وابتعدوا عمن اتصف به ، وجُعل وسيلةً للنيل من القبيلة ، والتقليل من قدرها بين القبائل ، فهو خُلُق مذموم شائن ، وهو عارٌ على الفرد والقبيلة ، وسلاحٌ حادٌ يصبُّه الشَّاعر على المهجوِّ ، ووسيلة فعَّالة في مواجهة الأعداء والخصوم .

فشبّهوا البخيل بالضَّال المفسِد بماله ، وصوَّروا فزع البخيل عندما يحلُّ عليه زائر ، والبُخْل عنده مبقٍ للمال ، و البخيل يبتعد عنه قومه ويذمُّوه ، والبُخل لا ينفع صاحبه ولا يُعلي من شأنه وهو يورث الذُّلَّ والمهانة ، وفخروا بعدم وجود بخيل في قومهم ، وتعفُّفوا عن البُخْل ولو كان مرةً واحدة ، وعيَّروا الخصم بالبُخْل ، وطلبوا صفاء العيش ولو كان قليلاً مثل عطاء البخيل ، وعابوا البُخل على الأقرباء والجُود على الأباعد ، وجعلوا البخُل من صفات لعن القوم وهجاؤهم ، كما ورد البُخل المعنوي ببخل المرأة عن الوصال وعند اللقاء ، كما أظهر الشُّعراء دور النِّساء وخاصة الزوجات ، في حثِّ أزواجهم على البُخْل ، وتخويفهم من الكرم ، كما استخدم الشعراء كذلك ألفاظاً تدلُّ على البُخْل مثل (ضنَّ – وشَحَّ – مَسَكَ) ، وعبـَّروا عن رؤيتهم عن البُخْل بما كان سائداً في مجتمعاتهم الجاهلية من تقبيح لهذه الصفة .

الكلمات المفتاحية: البُخْل، الشِّعر الجاهلي، خُلقٌ مذموم، ظاهرة اجتماعية.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

The Phenomenon of Miserliness in Pre-Islamic Poetry (An analytical study)

Dr. Roqaya Ibrahim Al-Haaj Badri Muhammed
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism
College of Science and Arts in Dhahran Al-Janoub
King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: rhaj@kku.edu.sa

ABSTRACT

The glory of the Arabs throughout history was the creation of generosity, They considered it one of the basic traits in their lives, This was reflected in their poetry that they sang with, Their divans are littered with the praise of the person of generous generosity, However, the prevalence of generosity among them and their appreciation for generosity does not negate the fact that some of them were miserly, miserly with their money when asking. He evades the bid, Some of their men were insulted by miserliness, The stingy miser was vilified, Miserliness is one of the traits that earns its owner shame and blame among them. The poets dealt with the phenomenon of miserliness in the pre-Islamic era in abundance, so they insulted and slandered it, And stay away from those who describe it, And made a way to undermine the tribe, And belittling her status among the tribes, He is a reprehensible, reprehensible creature, It is a disgrace to the individual and the tribe, And a sharp weapon that the poet aims at the arrogant, And an effective means in the face of enemies and opponents. They likened the miser to the misguided one who corrupts his money, hey depicted the miser's panic when a visitor came upon him, And his miserliness makes the money stay, And the miser will turn away from his people and slander him, Miserliness does not benefit its owner and does not exalt him, and it begets humiliation and devaluation, And they were proud that there was no miser among their people, And refrain from being miserly, even if it was only once, And they called the opponent miserly, And they asked for the serenity of living, even if it was a little like the tender of a miser, They blame miserliness on the relatives and generosity on the farthest, And they made miserliness a characteristic of insulting and slandering people, Moral miserliness is also mentioned in the woman's stinginess in communication and when meeting, The poets also showed the role of women, especially wives, in urging their husbands to be miserly, And intimidate them from generosity, The poets also used expressions that indicate miserliness, such as (betrayal - scarcity - musk), And they expressed their vision of miserliness due to the distortion of this characteristic that was prevalent in their pre-Islamic societies.

Keywords: Miserliness, Pre-Islamic poetry, Reprehensible behavior, social phenomenon.

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

المقدمة

إنَّ الشِّعر الجاهلي وثيق الصلة بحياة الجاهليين ، وعاداتهم وأخلاقهم ، ومعارفهم ، فهو يمثلها أصدق تمثيل ، مما يجعله سجلاً لتاريخ العرب قبل الإسلام ، ولا تزال مصادر الشِّعر الجاهلي صورة ناطقة ببلاغتهم ، وشدة تأثيرهم ، وجلال أثرهم ، في حياة العرب في جزيرتهم طوال العصر الجاهلي .

وكان الحديث عن الجُود والبُخل يحتل مكانةً كبيرة من بين مواضيع شعرهم ، فالبُخل بوصفه ظاهرة اجتماعيّة كانت - ولا تزال - تُعدّ في عرف المجتمعات العربيّة والإسلاميّة من أرذل الصّفات ، وأشدّها وقعاً على النّفوس ، ولذا فقد كان الكريم المعطاء مَقْصِد المادحين من الشُّعراء وغيرهم من ذوي الحاجات، وكان البُخلاء من ذوي الجاه والثَّراء أكثر تعرّضاً لسخط السّاخطين وهجائهم ، وقد ذخرت دواوين الشعراء في العصر الجاهليّ وما بعده بتمجيد الكرم وذمّ البُخل ، فإنّ البُخل عارٌ على الفرد والقبيلة ، وهو سلاحٌ حادّ يصبّه الشاعر على المهجوّ، ووسيلة فعّالة في مواجهة الخصوم.

المبحث الأول : مفهوم البُخل

البُـخْل لغةً : (البَخْل والبَخُول : ضد الكريم ، وقد بَخِل يَبْخَلُ بُخْلاً وبَخَلاً فهو بَاخِل : ذو بُخْل، والجمع بُـخَّـــال وبُـخـُلاء ، والمِبْخَلَة : الشيء الذي يحملك على البُخْل) ([1])

البُخْل اصطلاحاً :

عرّفه الراغب الاصفهاني : (البُخْل إمساك المقتنيات عمَّا لا يحقُّ حبسها عنه) ([2])

وعرّفه ابن حجر العسقلاني : (البُخْل هو منع ما يُطلب مما يقتنى ، وشَرُّه ما كان طالبه مستحِقاً) ([3])

وبيَّن الحق جلَّ وعلا أنَّ البُخل لا يعود ضرره إلاّ على أهله فقال عزَّ من قائل: (هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ۖ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) ([4])

وقال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ([5])

وقد نّفر الرّسول– صّلى الله عليه وسّلم –من البُخل واستعاذ منه حيث يقول : (اللهم إنِّي أعوذ بك البُخْل والجُبن وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذُ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذُ بك من عذاب القبر) ([6])

وللبُـخْل صور شتى منها : البُخْل بالمال والمقتنيات ، والبخُل بالنفس بأن لا يقدمها في سبيل الله تعلقاً بالدنيا ، البُخل بالجاه فيبخل صاحب الجاه أن يقدِّم المساعدة لمن يحتاجها ، البُخْل بالعِلم حيث يكتم صاحب العلم علمه لا علِّم ولا ينـــصح ولا يوجِّه ([7])

([1]) لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، (1 /332) مادة (بَخِلَ) ، ط (3) 1999م ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

([2]) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، (1 /109) ، ط (4) 2009م ، دار القلم دمشق .

([3]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن محمـد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، (457/10) ، ط (1) المكتبة السلفية القاهرة .

([4]) سورة محـمد الآية (38)

([5]) سورة آل عمران الآية (180)

([6]) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل ، كتاب الدعوات ، باب التعوُّذ من البُخْل ، ص1588 ، حديث رقم 6370 ، ط 1 ، 2002م ، دار ابن كثير دمشق .

([7]) موسوعة الدُّرر السَّنية ، المشرف العام علوي عبد القادر السَّقاف ، موسوعة الأخلاق (www. dorar .net

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

المبحث الثاني : شعر البُخل في العصر الجاهلي

يقول طرفة بن العبد ([8]) يذم البخيل :

أرى قَبْــرَ نَــحــَّامٍ بخيلٍ بمالِهِ ** كَـقَبْرِ غَوِيٍّ في البَطالةِ مُفسِدِ ([9])

أرى قبر البخيل بماله كقبر الضال في ضلالته المفسد بماله .

والمعنى أنّ مَن يبخل بماله عند أداء الحقِّ ، وعند السؤال ، وعند لذَّاته ، إذا مات فقد استوى هو ومن ينفقُ ماله ، ويقضي لذَّاته ، وفضَلَهُ مَن ينفقُ في حياته ([10]) .

صوّر الشاعر البخيل حتى بعد مماته ، فجعله والمفسِد الضّال سواءً في الجزاء بعد الموت ، تنفيراً من البُخْل ، وقد وظّف التشبيه توظيفاً رائقاً ضمّنه شيئاً من الخيال ، فعكس ما في نفسه تجاه هذا الخُلُق المذموم فجعل الغائب عنه كالمعلوم لديه مبالغةً في ذمّه وتشويهه للتدليل على أنّه مذموم في الدنيا وحتى في الآخرة .

ويسخر الأعشى ([11]) من البخيل الذي يفزع عندما يرى زائراً يحِلُّ عليه ، فيقول :

إذا زَارهُ يَوماً صديقٌ كأنّما ** يرى أسداً في بيتِهِ وأساوِدا ([12])

يوضح الشاعر ما يحسُّه البخيل عندما يطرقه زائر يحلُّ عليه من فزعٍ وهلعٍ، خوفَ الإنفاق على ضيافته وإكرامه ، فيُشبِه خوفه هذا خوف مَن يجد في بيته أسداً أو نوعاً قاتلاً من الحَيَّات . وقد صوَّر الشاعر ذلك عن طريق التشبيه البديع لإظهار مدى الخوف والرعب الذي يُحسه البخيل.

ويقول علقمة بن عبدة ([13]) في ذم البُخل :

والجُودُ نافيةٌ للمالِ مَهْلَكــةٌ ** و البُخْل مبقٍ لأهليهِ ومذْمومُ ([14])

أراد الشاعر أن يوضِّح المعنى الذي يقصده من خلال عقد مقارنة بين الجُود والبُخل من خلال المقابلة بين كون الجود مبيدٌ للمال مهلكٌ له ، وكون البخل يوفر عليهم أموالهم ويُبقيها لهم ولكنه مذموم ، ويجلب الذم والعار لصاحبه ، في أسلوب بلاغي رائق .

وعمرو بن الأهتم ([15]) يذم البُخْل ، ويطلب من زوجته ألا تدعوه إليه ، ويُبشِّع صورته قائلاً :

([8]) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي ، شاهر جاهلي من الطبقة الأولى ولد في بادية البحرين ، أشهر شعره معلقته وله ديوان شعر مطبوع ، كان هجاءاً غير فاحش القول ، تفيض الحكمة في أكثر شعره ، مات مقتولاً وهو ابن ست وعشرين سنة . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (225/3) دار العلم للملايين ، ط (7) مايو 1986م

([9]) ديوان طرفة بن العبد ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين ، ص26 ، ط (3) 2002م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان النحَّام : البخيل الحريص . الغوي : الضال .

([10]) شرح القصائد العشر الخطيب التبريزي ، حققه د. فخر الدين قباوة ، ص 137 ، ط4 1980م ، دار الأفاق الجديدة بيروت

([11]) الأعشى كنيته أبو بصير واسمه ميمون بن قيس بن جندل ، من فحول شعراء الجاهلية وممن قُدم على سائرهم ، أول من سأل بشعره ، سمي صناجة العرب لجودة شعره ، أدرك الإسلام في آخر عمره ولكنه لم يسلم ، ألقاه بعيره فقتله بناحية اليمامة . (خزانة الأدب لبَّ لباب لسان العرب ، عبد القادر عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، (1/ 175-176) ، ط (4) 1997م ، مكتبة الخانجي القاهرة

([12]) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، تحقيق د. محمـد حسين ، ص65 ، مكتبة الآداب الجماميز ، المطبعة النموذجية . أساودا : جمع أسود وهو نوع قاتل من الحيّات .

([13]) علقمة بن عبدة بن ناشر بن قيس من بني تميم ، من الشعراء الكبار عاصر امرأ القيس والنابغة ، يتقلب شعره زهو البيئات المتحضرة والبيئة البدوية ، عدّه ابن سلام في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية ، له مع مساجلات عدة مع امرئ القيس . (معجم الشعراء الجاهليين ، د. عزيزة فوال بابتي ص 228-229 ، ط (1) 1998م ، دار صادر بيروت .

([14]) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، ص43 ، الأعلم الشمنتري ، وضع فهارسه د. حنا نصر ، ط (1) 1993م ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

ذَريني فإنّ البُخْل يا أُمَّ هيثـمِ ** لِصَالِحِ أخْلاقِ الرِجـــــالِ سَـــرُوقُ
ذَريني وخُطِّي في هوَايَ فإنَّني ** على الحَسَبِ الزَّاكي الرَّفيعِ شَفيقُ
وإنِّي كريمٌ ذو عِيالٍ تهُمـــُّني ** نـــوائـــبُ يَغْشَـــى رُزْؤُهَا وخُـــــقُوقُ [16]

يدعو الشاعر زوجتَه أن تتركه ولا تدعُهُ إلى البُخل والإمساك ، لأن البخل سيسلبه كل الأخلاق الحميدة التي يعرف بها الرجال مستخدماً الاستعارة المكنية حيث جعل البُخل سارقاً لأخلاق الرجال ويقصد بها الكرم وربما جعل البُخل مفتاحاً لضياع كل أخلاق الرجال التي تُفقد بوجوده ، مبدياً المعنوي في صورة الحسّي بأن صيَّر الأخلاق تُسرق ، ومازال يخاطب زوجته أنْ تدعَه ولاتزيِّن البُخل إلى نفسه لأنّه يخشى على حَسَبِهِ الذي هو أمين عليه حريص مشفق أن يكون مضيعاً له ، وأنه كريم على الوفود والأضياف يعينهم على مصائب الدهر ويقوم بحقِّ الضيف عليه .

ويقول زهير بن أبي سُلمى [17] يذم البُخْل :

ومَن يَكُ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِه ** على قومِهِ يُستَغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ [18]

يصور الشاعر هنا موقف المجتمع الكاره للبخيل المبتعد عنه ، الذي يراه ناقصاً مذموماً ، خاصةً صاحب الفضل الكثير الذي يبخل بفضله على قومه ، فيستغنوا عنه ، ويعتمدوا على غيره ، ويرونه أهلاً للذم مستوجباً له .

ويقول السموءل بن عاديا [19] يفخر بعدم وجود بخيل في قومه :

فنَحنُ كماءِ المُزنِ ما في نصابنا ** كَهَامٌ ولا فينَا يُعَدُّ بخِيلُ [20]

يفخر الشاعر بقومه ويصف حسبهم ونسبهم بالصفاء و النقاء كماء المطر الذي ينزل صافياً بـــرَّاقاً ، فليس في محتدهم كليل ولا بخيل ، مظهراً أنّ البُخل مما تُعاب به القبائل ويطعن به في أرومتهم . وقد أراد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر .

ويقول قيس بن الخطيم [21] مبيناً أن البُخْل لا ينفع :

وليس بنافعٍ ذا البُخْل مالٌ ** ولا مُزرٍ بصاحبِهِ السَّخَاءُ [22]

يُبيِّن الشاعر أنَّ البُخل لا ينفع صاحبه ولا يُعلي من شأنه ، وأنَّ الكرم والعطاء لا يقلل ولا يحقِّر من قيمة من اتصف به ، فمَالُ البخيل لا بركة فيه ولا نماء ، أما الكريم فيُثيبه الله على عطائه في الدنيا والآخرة ،

([15]) هو عمر بن سنان بن سُميّ بن سنان ، من بني تميم ، سمِّي أبوه بالأهتم لأنه ضُرب فهتم فمه ، وآل الأهتم خطباء ، وهو جاهلي إسلامي وهو الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن من البيان لسحرا) ، وهو شريف شاعر كان شعره حُللاً منشّره . (الشعراء والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (632/2) ، ط (2) 1982م ، دار المعارف القاهرة .

([16]) ديوان الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، تحقيق د. سعود محمود ، ص92 ، ط (1) 1984م ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .ذو عيال : يعني الوفود من الأضياف والطلاب من العشيرة والجيران . تهمني : تقلقني وتحزنني . رزؤها : مصابها .
الزاكي : النامي .

([17]) هو زهير بن أبي سُلمى بن ربيعة ، من قبيلة مزينة من مُضر ، من أسرة كل أفرادها شعراء ، قصائدة كانت في الغزل والحكمة والمدح ، عُرف بصاحب الحوليات ، وهو من أصحاب المعلقات ، في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين .(معجم الشعراء الجاهليين ، د. عزيزة فوال بابتي ص 154-155) .

([18]) شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى ، الأعلم الشمنتري ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ص 26 ، ط (3) 1980م ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .

([19]) السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي ، شاعر جاهلي حكيم ، أشهر شعره لاميته ، له ديوان شعر مطبوع ، وهو الذي تُنسب إليه قصة الوفاء مع امرئ القيس الشاعر ، توفي 560م . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (140/3)).

([20]) ديوان عروة بن الورد والسموأل ،ص 91 ، دار صادر بيروت لبنان . ماء المزن : المطر . النصاب : الأصل . الكليل الحد .

([21]) هو ثابت بن عدي بن عمرو ، شاعر مجيد فحل ، يفضل على حسّان ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وعرض عليه الإسلام ولكنه قُتِل قبل أن يسلم . (معجم الشعراء ، محـمد بن عمران المرزباني ، تحقيق فاروق سليم ، ص238 ، ط (1) 2005م ، دار صادر بيروت .)

([22]) ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، ص77 ، ط (1)1962م ، مطبعة العاني بغداد .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

وقال تعالى في كتابه الكريم : (**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**)([23]) ، ونجد أنَّ المطابقة بين البُخل والسَّخاء قد أعطت المعنى قوةً وجمالاً ووضوحاً .

ويقول حاتم الطائي ([24]) حاملاً نفسه على الجُودِ :

أُشَاوِرُ نفس الجُودِ حتى تطيعني ** وأترُكُ نفسَ البُخْلِ لا أستشيرها ([25]) .

صوَّر الشَّاعر حَمْلَ نفسه على الجُود تصويراً رائعاً ، حيث جعل للجوُد نفساً يُشاورها وما يزال يراجعها حتى تنصاع له وتطيعه ، وجعل كذلك للبُخْل نفساً لا يخاطبها ولا يأخذ برأيها في كرمٍ يريد تقديمه لأنها ستنهاه وتزجره عن ذلك ، وقد أبدع في الاستعارة المكنية فللجُود نفسٌ تُشاور وتُطيع ، وللبُخل نفسٌ لا تُستشار أبداً ، وهو بذلك كأنّما يدلُّ على وجود الخير و الشَّر في نفس الإنسان ، فأيُّهما تُـــغلِّب ، تغْلِبُ عليك . وقد صدق عزَّ جلَّ في قوله : (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) ([26]) . أي فاز وأفلح مَن زكّى نفسه بطاعة الله وطهرها من دنس المعاصي والآثام ، وقد خاب وخسر من حقّر نفسه بالكفر والمعاصي أوردها المهالك ، فإنَّ مَن طاوع هواه وعصى أمر مولاه فقد نقص من عداد العقلاء ([27]) .

يقول عدي بن زيد ([28]) إنَّ البُخل يورث صاحبه الذُل والمهانة :

وللخُلْقِ إذْلالٌ لِمَنْ كانَ باخِلاً ** ضنياً ومَن يَبْخَلْ ويُذْلُ ويُزْهَدِ ([29])

يوضِّح الشَّاعر أنّ النفس بطبعها تنفر وتشمئز من الشخص البخيل بل ربَّما تصل لدرجة الإذلال للمتصف بهذه الصفة المستقبحة ، عندهم في مجتمعهم العربي الأصيل ، والمؤكد أنهم يبتعدون عنه ويزهدوا في قُربه وصلتهِ ، فهو منبوذ كالأجرب تماماً .

ويقول لبيد بن ربيعة ([30]) في لومه على الجُودِ :

تلومُ على الإهلاكِ في غيرِ ضَلَّةٍ ** وهَلْ لي ما أمسكتُ إنْ كنتُ باخِلا ([31])

يُوجِّه الشاعر رسالة إلى العاذل الذي يلومه على كرمه وإنفاق أمواله ؛ حتى وإن أنفقها في سُبل الخير والرشاد ، فلومه قائم ، فالشاعر يدعوه للتريث وللتأمل قليلاً ، ويتساءل موجهاً السؤال إليه أو إلى نفسه ، مستخدماً أسلوباً إنشائياً مستفهما وهل يبقى المال ويظلُّ عندي إن بخلتُ به وأمسكت عن إنفاقه ؟ والإجابة معروفه فمادام لا يبقى فالأفضل إنفاقه في الخير وإكرام العافي ليظل أثره دنيا وآخره .

يقول عدي بن زيد متعففاً عن البُخْل ولو كان مرةً واحدةً :

وللبَخْلَةِ الأولى لِمَنْ كان باخِلاً ** أعِفُّ ومَن يَبْخَل يُلمُّ ويُلْهَدُ ([32])

يُوضِّح الشاعر ابتعاده عن هذا الخُلُق المذموم حتى ولو كان مرةً واحدةً في حياته ، فتعِفُّ نفسه عنه ، حتى لا يلحقه من اللوم والذُل والاستضعاف ما يلحق بالبخيل من هذه الصفات المذمومة عندهم .

ويقول عنترة بن شدّاد ([33]) يتمنى أن يجود عليه الزمان ولو بقدر ما يعطي البخيل :

([23]) سورة سبأ ، الآية (39) .

([24]) حاتم بن عبد الله بن سعد ، من طيّ ، كان جواداً شاعراً ، جيد الشعر ، وقيل أجواد العرب ثلاثة ذكر منهم حاتم طئ ، وكان إذا أهلَّ رجب نحر كل يوم وأطعم . (الشعراء والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (241/1)) .

([25]) ديوان حاتم الطائي ، "" شرح يحيى بن مدرك الطائي ، تحقيق د. حنا نصر الجتي ، ص 89، دار الكتاب العربي ط1 1994م

([26]) سورة الشمس ، الآيات (9-10) .

([27]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (566/3) ، ط 4، 1981م ، دار القرآن الكريم بيروت لبنان .

([28]) هو عدي بن زيد بن حماد ، شاعر قروي من دهاة الجاهليين ، فصيح يتقن العربية والفارسية ، قُتل في سجنه سنة 590م . (معجم الشعراء الجاهليين ، د. عزيزة فوال بابتي ص220)

([29]) ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد ، ص107 ، دار الجمهورية للنشر والطبع بغداد .

([30]) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، أدرك الإسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني كلاب فأسلموا ورجعوا إلى بلادهم وبقي في الكوفة حتى توفي فيها وعمره مائة وسبع وخمسين سنة . (الشعراء والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، (274/1)

([31]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ص119 ، دار صادر بيروت لبنان . الإهلاك : إتلاف المال . في غير ضلة : في طرق الرشاد.

([32]) ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد ، ص108 . رجل ملهّد : رجل مستضعف ذليل .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

طلبتُ مِن الزَّمانِ صفاء عيشٍ ** وحَسْبُكَ قَدْرَ ما يُعطي البخيلُ ([34])

يتمنى الشاعر حياةً هانئةً طيبةً ، صافية من كل كدرٍ ومُنْغصة ، حتى ولو كان هذا القدر من صفاء العيش قليل ، بقدر ما يمنحه البخيل ، والمعروف أنَّ البخيل لا يعطِّي بسهولة وعندما يعطي لا يُكثر العطاء .

وقد أبدع الشاعر في استخدام التشخيص فقد جعل الزمان يُطلبُ منه ويستجيب ويعطي ، ثم صوَّر القدر القليل الذي يطلبه لنفسه باستخدامه التشبيه بأداته " حسب " وقد أبدع في المشبه به وهو قدر ما يعطيه البخيل .

وربّما دلّت هذه الأبيات على نفسية الشاعر وروحه القلقة ، الذي أثّرت فيه الأحداث فأحسّ بحاجته للاستكانة والراحة فلم يجدها فيمن حوله من الناس فطلبها من الزمان ، وفي طلب القليل منها دلالة على شدة احتياجه لها ، فمن لم يجد الكثير طلب القليل .

ويقول عروة بن الورد ([35]) ، يُعيِّر خصمه بالبُخل ويفتخر بالكرم :

إنّي امـــــروٌ عافي إنـــــائي شِركةٌ ** وأنتَ امروٌ عافـي إنائكَ واحـــــدٌ

أتَهْزَأُ مِنِّي أنْ سَمِنتَ وأنْ ترى ** بوجهي شُحُوبَ الحقِّ والحقُ جَاهِدُ

أقَسِّمُ جسمي في جُسومٍ كثيرةٍ ** وأحْسُوا قِراحَ الماءِ والماءُ بـــــاردُ ([36])

أراد الشاعر أن يفتخر بكرمه ويُعيِّر خصمه بالبُخل ، فصوّر ذلك تصويراً بديعاً أبرز فيه الدليل على كرمه ، حيث أوضح أنه يملأ إناءه لبناً حتى يفيض ويكثر فإن طرقه إنسانٌ وجده مهيأً له وكان شريكاً له فيه ، واستدل على ذلك بأنه هزيل وأضيافه يسمنون ، فهو يقسِّم طعامه على محاويج قومه ومن يلزمه ، وعلى ضيفانه ،وأما هو فيشرب الماء البارد الصافي فقط ،أما خصمه فيستأثر بإنائه لنفسه دون أضيافه فيشبع هو ويجوعون ، فهو على الضدِّ منه ومن أضيافه .

أبدع الشاعر في استخدام المجاز المرسل بعلاقته المحلية حيث ذكر الإناء وأراد ما به ما بداخله من لبن ونحوه مما يُكرم به ضيفانه ، كما أنّ في استخدامه للطباق (شركة – واحد) توضيح وجلاء للمعنى ، ثم التصوير البديع باستخدامه للاستعارة المكنية حيث شبه جسمه بالشيء الذي يُقسِّم ويجزأ ، وهو يريد أنه يقسِّم طعامه الذي يجب أن يطعَمه على أهله وضيفانه ، فكأنه يأخذ من جسمه ويضيف إلى أجسامهم وهو معنى دقيق فيه من القوة ما يدل على أن الكرم عنده ليس مجرد إطعام وإنّما هو يجود بُحب وطِيب نفس ، وهو يفعل ذلك في وقت الشتاء الذي يكون الإنسان فيه أحوج إلى الطعام ، فيحرم نفسه ويكتفي بالماء الصافي البارد ، وفي تقييده للماء بهذه الصفة مايعضِّد فخره بالكرم ، فهو كريم حتى في أكثر الأوقات حوجة إلى الطعام وهو الشتاء.

وقال دريد بن الصُّمَّة ([37]) في نُصرة قومه :

تجُودُ لهم نفسي بما مَلكتْ يديْ ** ونصري ، فلا فُحشِ عليهم ولا بُخْلي ([38])

يوضح الشاعر نوعاً خاصاً من نصرته لقومه ، فهو ينصرهم بتجوِّده عليهم بكل ما في يده ، ولا يذكرهم بسوءٍ ولا يبخل عليهم بماله ونفسه ، ونراه يمثِّل ذلك بطريقة بديعة ، فنفسه تدعوه وتحثَّه على الجود والبذل لقومه ،

([33]) هو عنترة بن عمرو بن شداد ، العبسي ، كان أشجع أهل زمانه وأجودهم ، وهو من أصحاب المعلقات في الجاهلية والمعلقات من أجود الشعر . (خزانة الأدب لُبَّ لباب لسان العرب ، عبد القادر عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، (1/ 126، 128) .

([34]) شعراء النصرانية بعد الإسلام في شعراء نجد والحجاز والعراق ، جمعه وصححه لويس شيخو (853/6) ، مطبعة الآباء اليسوعيين 1980م .

([35]) هو عروة بن الورد بن زيد العبسي ، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها ، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم ، له ديوان شعر مطبوع شرحه ابن السكيت توفي 594م . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (227/4) .

([36]) ديوان عروة بن الورد والسموأل ، ص29 ، دار صادر بيروت لبنان .عافي إنائي شركة : أي يأتيني من يشركني فيه . وأنت امرؤ عافي إنائك واحد : أي تستأثر به لنفسك وحدك . الحق جاهدُ : أي يجهد الناس . أقسِّم جسمي : أي قوت جسمه .قراح الماء : صافيه والماء باردُ : أي في الشتاء .

([37]) هو دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن ، شجاع من الأبطال الشعراء ، المعمرين في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم قُتل يوم حنين سنة 630م ، والصمة لقب لأبيه معاوية بن الحارث . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (339/2) .

([38]) دريد بن الصُمة ، تحقيق د. عمر عبد الرسول ، ص199 ، دار المعارف القاهرة .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

وتستجيب حواسه ، فتمتد اليد فتعطي ، مبرزاً اليد ناسباً إليها ملكية ما عنده لأنها هي الأداة التي يتم بها العطاء ، في استخدام دقيق للمجاز المرسل بعلاقتيه الجزئية والآلية ، مؤكداً إكرامه لقومه بقوله (ولا بُخْلي) بعد ذكر (تجوِّد) لهم صراحةً ، كما أن في استخدام الطباق (تجود – بُخْلي)، توضيح للمعاني بأضدادها .

وقال صيفي بن الأسلت ([39]) في جعل المال وسيلة لجلب الحمد والشكر :
ولا يمنعُهُ عن حمدٍ وشكرٍ ** ولا يَبْخَلُ به عن فعلِ رُشدٍ ([40])
يقول الشاعر إنّه يجلب الثناء والشكر لنفسه بماله ، لأنّه لا يبخل به ، بل يجعله أداةً للأفعال الخيِّرة الرشيدة ، يعينهُ عليها ، فيُورثه الحمد والشكر عند الناس ، فالمال لايَغـــــــــرُّهُ ، ولا يُغيــِّره ، فهو كما هو على جودهِ وكرمهِ .
ويقول طرفة بن العبد ينفي جود أحدهم :
وأنتَ امرؤٌ مِنَّا ولستَ بِخيرِنا ** جَواداً على الأقصى وأنتَ بخيلُ ([41])

يريد الشاعر أن يوضح معنى في غاية الدقة والجمال وهو أن التجوُّد على البعيد سواء من حيث المكان أو صلة القرابة ، لا يجعل صاحبه كريماً ، لأنَّ مَن لا خير فيه لأهله أو مَن حوله لا خير فيه ، ليس ذلك فحسب بل عدَّه بخيلاً نافياً عنه صفة الكرم ، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : **(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)([42])**

وأحياناً يستخدم الشعراء مادة (بَخِلَ) للإشارة إلى بُخْل المرأة بالوصال فاستخدمت في البُخْل المعنوي ، وذلك كقول
وكقول امرؤ القيس ([43]) :
مَنَّيْتنا بِغَدٍ وبَعْدَ غَدٍ ** حتى بَخِلتِ كأسوأِ البُخْلِ ([44])
يوضح الشاعر هنا بُخل محبوبته بمبادلة الحُبِّ ، واللقيا ، فقد أرختْ له حبال الأماني فكانت تُمنيِّه باللقاء كل يومٍ فتقول غدٍ ثم بعد غدٍ ، حتى أدرك أنَّ قولها كان خداعاً ، وأنّها كانت تُخفي عنه نيتها بعدم وصله ، وقد سماه الشاعر بُخلاً بل جعله من أسوأ أنواع البُخل ، لأن الأمر لم يكن جلياً بل كان فيه شيء من المراوغة ، فالبُخل ليس بالمال فقط .
وفي استخدام الشاعر لعبارة " غدٍ – وبعد غدٍ " كناية عن مماطلتها له في الوصل ، وقد وقعت موقعاً حسناً زاد المعنى وضوحاً وجمالاً .
واستخُدمت كلمة " البُخْل "كذلك في بُخل المحبوبة بعد اللقيا بما يريده حبيبها من نظرة أو ابتسامة كقول أمية بن أبي الصلت ([45]) :
أجُودُ وتَبْخَلينَ إذا ألتقينَا ** يلينُ لكِ الفُؤادُ وتُغلظِينا ([46])

([39]) هو صيفي بن عامر بن الأسلت ، الأوسي الأنصاري ، شاعر جاهلي من حكمائهم ، كان شاعر الأوس وخطيبها ، كان يكره الأوثان ويبحث عن دين يطمئن إليه قلبه ، اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومات قبل أن يسلم سنة622م . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (211/3) .
([40]) ديوان صيفي بن الأسلت ، تحقيق وجمع د.حسن محمد باجودة ، ص 71 ، الناشر مكتبة دار التراث القاهرة .
([41]) ديوان طرفة بن العبد ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين ، ص67. الأقصى : البعيد .
([42]) سورة البقرة ، الآية (215) .
([43]) هو امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو الكندي ، من الطبقة الأولى ، الشعر والشعراء قتيبة ص105
([44]) ديوان امرئ القيس ، تحقيق حسن السندوبي ، ص130 ، ط (5) 2004م ، دار الكتب العلمية بيروت . منيتنا : أرخيت لنا في حبال الأماني .
([45]) الجُود والبُخل في الشعر الجاهلي د. محمد فؤاد نعناع ص 287 ، ط (1) 1994 دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق سورية مكتبة الأسد . (هو عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، ذهب في شعره بعامة ذكر الآخرة وقد صدقه الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض شعره ، توفي سنة تسع للهجرة كافراً ، وفي ديوانه قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم . (خزانة الأدب لبَّ لباب لسان العرب ، عبد القادر عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، (247/1) .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

يبيـّن الشاعر بُخْل محبوبته عند لقائهما ، وربما كان ذلك حياءً وهو من شيم الكريمات ، ثم يستعطفها بذكر حاله فهو يجود بمشاعره وحُبِّه ، ويلين فؤاده لها وعند ذكرها وهي باخلة غليظة الفؤاد ، وجاء استخدام الأضداد (الطباق) " أجود – تبخلين " " يلين – تغلظينا " موضحاً لإحاسيس الشاعر ، وصدِّ محبوبته عنه ، مقوياً للمعنى .

امتاز فن الهجاء في الجاهلية بالقصد في السَّبِّ والشتم ، وتعمُّد الأوصاف الاجتماعية المزرية بالفرد والقبيلة من الهوان ، والبُخْل ، والجُبن وسواها ([47]) ، إنَّ صفة البُخْل احتلت مكانةً كبيرةً في قصائد الهجاء ، حتى قيل إن أفضل بيتٍ في الهجاء يُشهِّرُ بالبُخْل قول **الأعشى الكبير** ([48]) :

تَبيتُونَ في المشْتَى مِلاءً بُطُونُكم ** وجَاراتُكم غَرثَى يَبِتْنَ خَمائِصَا ([49])

من الأخلاق المحمودة عند الجاهليين حُسن الجِوار ، والجُود وإغاثة الملهوف وغيرها ، وكانت العرب تُعيـــِّر من لا يراعي هذه الإخلاق من القبائل وتُعدُّها منقصة ، وهاهو الأعشى يُعيِّر ويُشهِّر ببني الأحوص فهم يبيتون في الشتاء وقد ملئوا بطونهم شبعى ؛ ولا يبالون أن تبيت جاراتهم جوعى فارغات البطون .

ومما أعطى المعنى قوة ، تقييد ملء البطون بالظرف بقوله :" في المشتى " لأن الحوجة للطعام في الشتاء تكون أشد من غير ها من الأوقات ، وكذلك تخصيص " الجارات " بالذكر لأنه ليس من المروءة أن تترك النساء دون طعام لأن الرجل هو الذي يجلب الطعام للبيت ، وكذلك التكرار " غرْثَى – خمائصا " وهما بنفس المعنى ، فيه تصوير لحالة الجارات وتأكيد على ما أصابهنَّ من الجوع الشديد .

ولكي ينفِّر الشعراءُ من البُخْل أيضاً فإنَّهم يلونون وجه البخيل بالسواد ، وهذا ما يؤكده حاتم الطائي بقوله ([50])

فلا خيرَ في رَجُلٍ يكونُ بمالِهِ ** بخِيلٌ شحيحٌ أسودُ الوجهِ كالحُ ([51])

نفي الشاعر صفة الخير عامة عن مَن يكون بخيلاً لا ينفق ماله لمن يحتاج المعونة ، ولكي ينفِّر عن صفة البُخل جعل البخيل مُسْود الوجه ، شديد العبوس ، فكأنّ البُخل يتمثَّل في صفة حِسِية تُظهر صاحبها فيعرفه بها مَن يراه ، واستخدام الشاعر للون الأسود له دلالة فالنفس تنفر منه ، وهو معنى متأصل مقتبس من قوله تعالى : **(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ)** ([52]) ، كما أنّه لم يكتفِ بوصفه بالبُخل بل تعداه إلى ما هو أبعد من البُخْل وهو الشُح .

وقد هُجي بعض رجالهم بالبُخْل ولكن نساءهم كُنَّ أبخل من الرجال ، فقد اشتكى الرجال من نسائهم المانعات من الكرم اللائمات على الإسراف ، فمثلاً حاولت امرأة حاتم الطائي أن تغُلَّ يده عن العطاء بدعوى أنه بسخائه قد أضرَّ بنفسه وبها ، فعصاها .

قال حاتم الطائي على لسان زوجته :

وقـــــائلةٍ أهلَكْتَ بالجُودِ مَالَنَا ** ونَفسَكَ ، حتَّى ضَرَّ نفسَكَ جُودُهَا

فقــلتُ دَعيني ، إنّما تلك عادتي لِكُـــــــــلِّ كريـــمٍ عـــادَةٌ يَسْتَعـــيدُهَا** ([53])

كانت النساء تخشى من كرم أزواجهن ظناً منهن أنه مهلكٌ للمال والنفس ، فرد حاتم على زوجته أن اتركيني فإنَّ الجود لي عادة لا استطيع التخلي عنه . والبيت فيه من جمال التصوير بالاستعارة المكنية بالتشخيص حيث جعل الجُود من المهلكات التي تستنفد المال والنفس ،كما أن أسلوب القصر قد وضح لنا أن صفة الجود مقصورة على

([46]) ديوان أمية بن أبي الصلت ، تحقيق د. سجيع جميل الجبيلي ، ص144 ، ط (1) 1998م ، دار صادر بيروت .
([47]) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي محمد عبد المنعم خفاجي ص 312 ، ط 1 ، 1992م ، دار الجيل بيروت .
([48]) الجود والبخل في الشعر الجاهلي د. محمد فؤاد نعناع ص 174 .
([49]) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، تحقيق د. محمـد حسين ، ص149 . المشتى زمن الشتاء . الغرثان والخميص : الجائع الضامر البطن .
([50])الجود والبخل في الشعر الجاهلي د. محمد فؤاد نعناع ص 176 .
([51]).ديوان حاتم الطائي "زيادات الديوان " شرح يحيى بن مدرك الطائي ، تحقيق د. حنا نصر الجتي ، ص 142.الكالح : المفرِط في عبوسه الذي قصرت شفته عن أسنانه فانكشفت . شحيحٌ : الشُحُّ : البُخْل مع حرصٍ " مختار الصِحاح ، محمد عبد القادر الرازي ، مادة (شحح) ص 139 ، مكتبة لبنان بيروت 1986م .
([52]) سورة آل عمران ، الآية (106) .
([53])ديوان حاتم الطائي ، شرح يحيى بن مدرك الطائي ، تحقيق د. حنا نصر الجتي ، ص46 .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

حاتم فهي عادته ولا عادة له غيرها والبيت فيه من رد العجز على الصدر ما أعطى الأبيات جرساً موسيقيا إضافة إلى دقة المعنى وتأكيده .

ويستنكر ضمرة بن ضمرة النهشلي على زوجه لومها إياه لأنه أعان ابن عمه بلبن من إبله قائلاً ([54]) :

أُأصُرُّها وبُنَيَّ عمي ساغبٌ ** فكفاكِ من إبَةٍ عليَّ وعاب ([55])

يردُّ الشاعر على زوجته التي تلومه على إعانة ابن عمه ببعض من لبنه ، كيف لي أن أربط ضرع إبلي وابن عمي جائع لا يجد ما يسدُّ به رمقه ،ثم دعاها أن تكفَّ عن لومها وعتابها لأنه يجلب له الخزي والعار ، فهو رجل كريم يرى الحياة فانية فلن تنفعه إبله عند موته . وفي استخدام الشاعر لأسلوب الاستفهام ما يدل على تعجبه من لومها له ، كما جاء أسلوب الأمر قاطعاً لقولها زاجراً لها .

وربما استخدم الشعراء ألفاظاً تدل على البُخْل كـ (ضَنَّ – وشَحَّ – ومسَك) ([56]) :

1/ ضَنَّ

كقول لبيد بن ربيعة : ولا أضِنُّ بمعروف السَّنامِ إذا ** كانَ القُتَارُ كما يستروحُ القُطُر ([57])

ينفي الشاعر عن نفسه صفة البُخل " لا أضِنُّ " فهو كريم حتى حين يصبح الناس في شهوةٍ إلى اللحم حتى ليُخيل إليهم أنّ قُتار اللحم طيِّب كرائحة العود يحبون استنشاقه ، فهو عندئذٍ يجود لهم وينحر الإبل ويطعِمُ السَّنام .

وقد عقد تشبيهاً متضمناً دقيقاً في تشبيهه رائحة اللحم والشحم عند اشتهاء الناس لهما في وقت انعدامهما ، برائحة العود والبخور التي تروِّح عن النفس ، ويتمتع بها كل مَن تنسمها ، وقد جاء تكرمه مقيداً بالظرف - وهو وقت اشتهاء الناس للحم والشحم - ما يدل بالكناية على أنّ الجود صفة متأصلة في نفسه وليست عابرة فهو يتحرى أكثر الأوقات حوجة فيكرم الناس فيها .

وكقول أفنون التغلبي ([58]) يعتب على قومه بني حبيب بن عمرو لأنهم يتحملوا معه ديّات من قتلهم :

أمْ كيفَ ينفَعُ ما تُعطي العَلوقُ به ** رئمانَ أنْفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ

كان أفنون قد سأل قومه أباعر فخيبوا أمله فيها ولم يتحملوا عنه ديّات من قتلهم ، فعتب عليهم وجعل يذكرهم ما أسلف إليهم من فضل الدفاع عن أحسابهم ، واتهمهم بأنهم خدعوه كما تخدع العَلوق من الإبل ولدها ، ترأمُهُ ولا تُدرُّ عليه ، أي تعطف عليه ولا ترضعه من لبنها ([59]).

رسم الشاعر صورة تمثيلية بديعة حيث شبه موقف قومه معه وخذلانهم إياه ، وخداعهم له ، وهم يُجمِّلون له القول دون فعلٍ ، بصورة الناقة الحانية على وليدها ، ولكنها تبخلُ عليه بلبنها ، والجامع بينهما جمال المظهر ما سوء المخبر ، وفي استخدامه للاستفهام " كيف " ما يدل على تحسره على خذلانهم له لأنه قد انتهى إلى حقيقتهم .

2/ شَحَّ

يقول عمرو بن كلثوم ([60]) يفخر بقومه :

تَرى اللَّحِزَ الشَّحيحَ إذا أمَرَّتْ ** عليهِ لمالهِ فيها مُهينا ([61])

([54]) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، ص 256 ، مكتبة دار نهضة مصر ومطبعتها ،ط 2 ، 1952م

([55]) شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق د. عبد المجيد محمود المعيني ، ص 282 ، منشورات نادي القصيم الأدبي 1982م. ساغب: جائع . إبة : خزي وعار معيب .

([56]) الجود والبخل في الشعر الجاهلي د. محمد فؤاد نعناع ص 288-289 .

([57]) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ص57 . معروف السنام : ما أطعمت الناس منه . القُتار : ريح الشحم واللحم . القُطُرُ : دخان العود . أضِنُّ .

([58]) هو صُريم بن معشر بن ذهل بن تميم من بني تغلب ، شاعر جاهلي ، يماني الأصل ، مات في بادية الشام ، لُقِّب بأفنون لقوله في أبيات " إنّ للشبان أفنوناً " . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (204/3) .

([59]) العلوق : الناقة تعطف على ولدها ولا تُدِرُّ عليه بلبنها . الرئمان : مصدر رئمت الناقة ولدها : إذا عطفت عليه .هذا البيت مثلٌ يُضرب لكل مَن يَعِدُّ بلسانه كل جميل ولا يفعل منه لأن قلبه منطوٍ على ضده . المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمـــد هارون ، ص 263، 261 ، ط 6 ، دار المعارف مصر .

([60]) عمرو بن كلثوم بن مالك ، من بني تغلب ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، من الفُتاك الشجعان ، أشهر شعره معلقته فيها من الفخر والحماسة ، توفي في الجزيرة الفراتية عام 584م . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (84/5) .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

يقول إنَّ الخمر تُنسي الشحيح حرصه على المال عندما يشربها ، هرباً من تفكيره بالموت ، وربما كان شُرب الخمر مظهراً من مظاهر مغالبته ، ومدعاة لإنفاق ما اليد قبل أن يبدده الموت ([62]). وقد شبه الشاعر ماله بالشيء الذي يُهان أو يستهان به فينفقه وفي ذلك استعارة مكنية بديعة .

إنَّ الشعراء يصفون سلوك البُخلاء بطرق مختلفة ، فربط ضرع الإبل لكي تحتفظ بالحليب كان علامةً على البُخْل ، لذا ينفي الشعراء هذا التصرف إذا ما افتخروا ذاتياً أو مَدحوا فمثلاً **الأعشى الكبير** ينفي البُخْل عن أصحابه **قائلاً** ([63]) :

لا يَشِحونَ على المالِ وما ** عُوِّدوا في الحيِّ تِصْرَارَ اللِّقَحْ ([64])

يمدحهم نافياً عنهم البُخل بالمال أو بحليب نوقهم ، فهم لا يُصرِّرون إبلهم بُخلاً بألبانها ، لأن عادتهم في حيِّهم إرسال الضروع فيشرب منها من يريد . وكأنما الشاعر هنا قد ذكر صفة الكرم وأتبعها بدليلها وهو عدم تصرار إبلهم ، كناية عن كرمهم وجودهم .

3/ مسَكَ :

ويقول عبيد بن عبد العزّى السلامي ([65])

أَعَاذِلَ إنّ الجُودَ لا يُنْقِصُ الغِنَى ** ولا يَدفَعُ الإمْسَاكُ عَن مالِ مُكْثِرِ ([66])

يخاطب الشاعر عاذله الذي يمنعه العطاء والكرم ، موضحاً له أن الجُود لا يُنقص من غنى الغني ولا يُقلُّ من ماله ، كما أنّ الإمساك والبُخل لا يمنع من نقصان المال وهلاكه .

ونجد أسلوب النداء جاء لشد انتباه السامع لما سيأتي من حديث ، بغرض النُصح والإرشاد وفيه من الحكمة ما يدلُّ على قول من خَبــِر الدنيا وعرِف حقيقتها ، كما أن المطابقة وقعت موقعاً حسناً حسّن المعنى ووضحه " الجُود – والإمساك " .

ويقول الحارث بن حلِّزة ([67]) :

لا مُمسِكٌ للمالِ يُهْلِكُهُ ** طلقُ النُجومِ عليهِ كالنَّحسِ

أي أنه لا ينفق المال في نجم مبارك ليخلف عليه وإنما ينفقه في كل وقت ([68]) ، فممدوحه منفقٌ للمال كريم جواد على طول الزمان وليس في وقت دون وقت . فالنجوم التي يتطير بها الناس ، والتي يتفاءلون بها عنده سواء فالطلق كالنحس .

وقد عبر الشاعر بطريقة رائعة فجعل الإمساك والبُخل مهلكٌ للمال مبددٌ له وهو معنى رائق متأصل متناصَّ مع المعنى ومع المفردة "ممسك " ، في قوله صلى الله عليه وسلم : (**عن أبي هُريرة ؓقَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**) ([69]) ،

([61]) ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، ص65 ، ط (1) 1991م ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
اللَّجِز : هو البخيل وقيل السيء الخـُـلُق .

([62]) شرح المعلقات العشر ، د. مفيد قميحه ، ص 252 ، ط 1997م ، دار ومكتبة الهلال بيروت .

([63]) الجود والبخل في الشعر الجاهلي د. محمد فؤاد نعناع ص 175 .

([64]) ديوان الأعشى ميمون بن قيس ، ص 243 ، ق36 بيت رقم 48 ، يشحون : يبخلون . اللُقح : جمع لَقُحة وهي الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .صرَّ الناقة : شدَّ ضرعها بالصُرار حتى لا يرضعها ولدها .

([65]) لا نعرف عنه شيئاً غير ما ورد عنه في كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب ، جمع محمد المبارك محمد ، تحقيق د. نبيل طريفي ص772، ط1 ، 1999م ، دار صادر بيروت . وهو أنه أحد بني سلامان بن مفرج ، وهو ابن عم الشنفرى .

([66]) قصائد جاهلية نادرة ، د. يحيى الجبوري ، ص131 ، ط 2، 1988م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

([67]) الحارث بن حلزة بن مكروه ، اليشكري ، شاعر جاهلي من أهل بادية العراق ، من أصحاب المعلقات ، أكثر من الفخر في معلقته ، له ديوان شعر مطبوع توفي 570م . (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي ، (154/2).

([68]) ديوان الحارث بن حلزة ، تحقيق د. أميل بديع يعقوب ، ص51 ، ط1991 ، دار الكتاب العربي بيروت .

([69]) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الزكاة ، ص350 ، باب قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ) ح رقم 1442 ، ط1 ، 2002 م ، دار ابن كثير ، دمشق سوريا .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

الخاتمة

تناول هذا البحث البُخْلَ باعتباره ظاهرة اجتماعية برزت في الشِّعر الجاهلي وعبَّرت عنه ، باعتباره خُلق مذموم ومعيب تُعيَّر به القبائل والأفراد ، وقد قسمتُ هذا البحث إلى مبحثين اختصّ الأول منهما بمفهوم البُخْل لغةً واصطلاحاً ، أما الثاني فقد اختصَّ بنماذج لشعر البُخْل في العصر الجاهلي بصوره المختلفة .

وقد خلص البحث إلى النتائج التالية :

1/ البُخْل ظاهرة اجتماعية ذات تأثير واضح في الشِّعر الجاهلي .

2/ تناول الشُّعراء الجاهليين ظاهرة البُخْل بكثرة في أشعارهم .

3/ جُعل البُخل في المجتمع الجاهلي وسيلة للنيل من القبيلة والتقليل من قدرها بين القبائل .

4/ اتصف البُخل بكافة صوره في الشِّعر الجاهلي بأنّه خُلقٌ مذموم وشائن يُكسِب صاحبه اللوم والعار .

5/ ظهر البُخل في المجتمع الجاهلي لدى النِّساء والرجال على حدٍ سواء .

6/ استخدم الشُّعراء ألفاظاً ذات دلالة واضحة على البُخْل إلا في بعض الأحيان .

7/ عبَّر الشُّعراء الجاهليون عن البُخْل على حسب ما كان سائداً في مجتمعاتهم الجاهلية من تقبيح لهذه الصفة .

8/ استطاع الشِّعر الجاهلي أن يُعبِّر عن ظاهرة البُخْل ، بصورة دقيقة وواضحة ، من كافة جوانبه ، على اختلاف صوره .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1/ القرآن الكريم

2/ محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، ط1 ، 2002 م ، دار ابن كثير ، دمشق سوريا .

ثانياً : المراجع

1/ أحمد بن علي بن محمد ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط (1) المكتبة السلفية القاهرة .

2/ أحمد محمد الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، مكتبة دار نهضة مصر ومطبعتها ،ط 2 ، 1952م

3/ أحمد محمد شاكر عبد السلام محمد هارون ، تحقيق وشرح ، المفضليات ، ط 6 ، دار المعارف مصر .

4/ الأعلم الشمنتري ، شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، وضع فهارسه د. حنا نصر ، ط (1) 1993م ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

5/ الأعلم الشمنتري ، شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط (3) 1980م ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان .

6/ الأعشى الكبير ، ديوان ميمون بن قيس ، تحقيق د. محمد حسين ، مكتبة الآداب الجماميز ، المطبعة النموذجية .

7/ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط (2) 1982م ، دار المعارف القاهرة .

8/ ابن منظور لسان العرب ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي ، ط (3) 1999م ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

9/ امرئ القيس ، ديوان ، تحقيق حسن السندوبي ، ط (5) 2004م ، دار الكتب العلمية بيروت . منيتنا : أرخيت لنا في حبال الأماني .

10/ أمية بن أبي الصلت ، ديوان ، تحقيق د. سجيع جميل الجبيلي ، ط (1) 1998م ، دار صادر بيروت .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal on Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (33) مايو 2022
Volume (33) May 2022
IJOHSS

11/ حاتم الطائي ، ديوان ، شرح يحيى بن مدرك الطائي ، تحقيق د. حنا نصر الجتي ، دار الكتاب العربي ط1 1994م
12/ الحارث بن حلزة ، ديوان ، تحقيق د. أميل بديع يعقوب ، ط1991 ، دار الكتاب العربي بيروت .
13/ خير الدين الزركلي ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط (7) مايو 1986م
14/ الخطيب التبريزي ، شرح القصائد العشر ، حققه د. فخر الدين قباوة ، ط4 1980م ، دار الأفاق الجديدة بيروت.
15/ دريد بن الصُمة ،ديوان ، تحقيق د. عمر عبد الرسول ، دار المعارف القاهرة .
16/ الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، ط (4) 2009م ، دار القلم دمشق .
17/ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، ديوان تحقيق د. سعود محمود ، ط (1) 1984م ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
18/ صيفي بن الأسلت ، ديوان ، تحقيق وجمع د.حسن محمد باجودة ، الناشر مكتبة دار التراث القاهرة .
19/ طرفة بن العبد ، ديوان ، شرح وتقديم مهدي محمد ناصر الدين ، ط (3) 2002م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
20/ عبد القادر عمر البغدادي ، خزانة الأدب لبَّ لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط (4) 1997م ، مكتبة الخانجي القاهرة .
21/ د. عبد المجيد محمود المعيني جمع وتحقيق ، شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، منشورات نادي القصيم الأدبي 1982م.
22/ عدي بن زيد العبادي ، ديوان ، تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية للنشر والطبع بغداد .
23/ د. عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، ط (1) 1998م ، دار صادر بيروت .
24/ عروة بن الورد والسموأل ، ديوان ، دار صادر بيروت لبنان
25/ علوي عبد القادر السَّقاف ، موسوعة الدُّرر السَّنية ، المشرف العام موسوعة الأخلاق (www. dorar .net
26/ عمرو بن كلثوم ، ديوان ، تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، ط (1) 1991م ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
27/ قيس بن الخطيم ، ديوان ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، ط (1)1962م ، مطبعة العاني بغداد .
28/ لبيد بن ربيعة العامري ، ديوان ، دار صادر بيروت لبنان .
29/ لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام في شعراء نجد والحجاز والعراق ، مطبعة الآباء اليسوعيين 1980م .
30/ محمد بن عمران المرزباني ، معجم الشعراء ، تحقيق فاروق سليم ، ط (1) 2005م ، دار صادر بيروت .
31/ محمد عبد القادر الرازي ، مختار الصِحاح ، مكتبة لبنان بيروت 1986م .
32/ محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ط1 ، 1992 ، دار الجيل بيروت .
33/ محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ط 4، 1981م ، دار القرآن الكريم بيروت لبنان .
34/ د. محمد فؤاد نعناع ، الجُود والبُخل في الشعر الجاهلي ، ط (1) 1994 دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق سورية مكتبة الأسد .
35/ د. مفيد قميحه ، شرح المعلقات العشر ، ط 1997م ، دار ومكتبة الهلال بيروت .
36/ محمد المبارك محمد ، جمع ،منتهى الطلب من أشعار العرب ، تحقيق د. نبيل طريفي ، ط1 ، 1999م ، دار صادر بيروت .
37/ د. يحيى الجبوري ، قصائد جاهلية نادرة ، ط 2، 1988م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

DOI: https://doi.org/10.33193/IJoHSS.33.2022.407